

## نزعة الشيخ عبد الله بن فودي السياسية من قصيدته الحائية

يعقوب عبد الله

### مقدمة

إنه من الشخصيات البارزة التي نعتز بها في نيجيريا الشيخ عبدالله بن فودي، وقد ظل اسمه يردد أفواه الدارسين والسياسيين، وذلك لاسهاماته الجبارة في شتى الفنون الدينية واللغوية، تلك الاسهامات التي تولدت منها للشيخ عبدالله جوانب دراسية متعددة.

وان الجانب الذي نود ان ننظر فيه من حياة هذا العالم الكبير في هذا البحث، هو جانب السياسة، اذ هو بلا أدنى شك سياسي مثالي واداري خبير، ويشهد له على ذلك دوره الفعال في تأسيس الدولة الاسلامية الفودية، كما يشهد له مؤلفاته في فن السياسة، ومن كتبه المشهورة فيها : ضياء الحكام وضياء السياسة وضياء السلطان.

وفي الحقيقة بحثي هذا مقتصر عن دراسة سياسة الشيخ عبد الله بن فودي ولست مؤهلا لذلك، فأترك ذلك للمتخصصين في سياسته ومتأملها أمثال الشيخ عمر عبد الله المحاضر بجامعة بايرو وغيره، واقتصر على دراسة نزعة السياسية من خلال قصيدته الحائية .وهي قصيدة منقولة من ديوانه " تزيين الورقات" .

ولقد كان الشيخ عبد الله بن فودي أديبا فائقا وممن ادرك مالفهم من أثر عميق في تأثير على النفوس وجذب القلوب، فلما اراد اقناع قبيلته على ضرورة الجهاد ودفعهم الى انضمام في صفوف

جماعة الشيخ عثمان بن فودي استعان بفن الشعر لبث نزعته السياسية ، وهي الواردة في القصيدة التالية.

### القصيدة

طربت فأشجاني الطيور الكوايح \*\* وفرحني منها الغيوث الروائح  
 وخوفني أيضا ذناب بوارح \*\* وأمنني منها الأطباء السوانح  
 لقول النبي لا تزال جماعة \*\* على الحق منا أويجئ المقارح  
 ألا أبلغن عني لحبي رسالة \*\* تعيها رجال أو نساء صوالح  
 لعالمهم أو طالب العلم رانم \*\* لإظهار دين الله فيه يناصح 5  
 أقول قم وادع للدين دعوة \*\* تجبها عوام أو خواص جحاح  
 ولا تخش في إظهار دين محمد \*\* بقولة قال تأتسيه كناتح  
 ولا تخش تكذيبا وانكار جاحد \*\* وهزء جهول ضل والحق صابح  
 وغيبة همار وضغن مشاحن \*\* يساعده من للعوائد رايح  
 وليس لما تبني يد الله هادم \*\* وليس لأمر الله إن جاء ضارح 10-  
 وبين لهم أن العوائد بهرجت \*\* وسنتنا لاحت عليها لوائح  
 ولهو الشباب اليوم قد بار سوقه \*\* وقامت على سوق الصلاة مدائح  
 وأهل الدنيا اليوم انزوى ظل ج \*\* وسنتنا قد ظلمت لها الم دوائح  
 ومنكر هذا الدين قد خف وزنه \*\* ومظهره ميزانه اليوم راجح  
 وناصره قد صار في الناس عاليا \*\* ومنكره للخاص والعام دانح 15-  
 وإن اله العرش قد من مئة \*\* علينا فمن يشكر فذلك رايح  
 ومن كفر الانعام واتبع الهوى \*\* ففي الدنيا بله القيامة طالح  
 وتلك بأن قد بين الدين في امرء \*\* لنا نسبا نعلوا به ونطامح  
 فإن نحن أويناه ننصر قوله \*\* نفر ونحز نعماه والكل فالح  
 وإن قد أضعناه أفاد بغيرنا \*\* مصائب قوم عند قوم مصالح 20-  
 ولو نفعت قربي فقط فيه ماردي \*\* أبوطالب عم النبي وتارح  
 وماضر شمسنا أن نفى العمى ضوء \*\* وماضر حوضنا أن بته القوامح  
 أطالب أرض تخرج النبت رنقا \*\* بإذن ذويها إن أفاضت دوالح  
 ولو همعت ديما انبتت ولو \*\* بسابيس في الأراضي البوالح  
 فلايمنع الإرشاد عدم قبولهم \*\* فمدخلهم مولا هم أنت فاتح 25-

فأنك إن بلغتهم ضاع عذرهم \*\* فساقهم المولى فأنك جادح  
 مطيع لما قد قاله سيد الورى \*\* به بلغوا عنى اتته صحاح  
 واءمر بمعروف ونهى للمنكر \*\* على شرطه للناس بالحق قارح  
 وامر بمعروف ونهى للمنكر \*\* طريق من القرآن باد صمادح  
 وفهمهم ما يلزم عقده \*\* من الدين مما سهلته القرائح 30-  
 وغسلا وضوء أو صلاة زكاتهم \*\* وصوما وبيعا ثم كيف يناكح  
 وواجبها مسنونها مستحبها \*\* ومنهينا والكل فى الكتب واضح  
 وعلم نساء ستر هن بأن ترى \*\* على غير وجه والاكف القواسح  
 وعلمهم الإحسان كيف يراقبو \*\* ن مولا هم ذو جدهم والصمادح  
 وكيف التخلّى من صفات ذميم \*\* وكيف التحلى بالحميدة ناصح 35-  
 وكيف تراعى نية فى جميعها \*\* ليرعاه ذو فهم يطيعك ناصح  
 بنفسك فابدا حاندا عن هوى الهوى \*\* لدى سومها ترعى وإنك كابح  
 أضر عدو من بدارك ساكن \*\* مطيع لشيطان وللدين قافح  
 سلامة عيب النفس عزت لما لها \*\* يكون حلال المنكرات المسارح  
 فلا تستطيع الترك عن شهواتها \*\* ولم تحتل ذلا كذلك السبادح 40-  
 لجأوك بالمولى وتقليل مطعم \*\* دواء لأدواء النفوس مطحطح  
 والأصغرين احفظ وبالأجوفين وال \*\* جواسيس صن دوما تطعك الجواسيس  
 تباع القرآن والنبي وصحبه \*\* وتابعهم تريق من هو صالح  
 عليه صلاة الله ثم عليهم \*\* كذلك سلام بالريا حين فائح  
 وكتب تراعى سنة مثل مدخل \*\* ومستخرجات منه فيها نصائح 45-  
 كنايةها وكذلك إحياء سنة \*\* لباب طريق الصالحين مصالح  
 غز اليها وكذلك زروقيها \*\* عطائنها تشفى بهذه القبائح  
 بجائنها أو ما حذا حذوها \*\* يعاملها معشوق دنياه طالح  
 يوفقنا المولى بجاه نبيه \*\* بسنته حتى تجىء القوادح  
 عليه صلاة الله ثم سلامه \*\* وأصحابه ما رن تال روائح  
 فودى عبد الله 1978: 14 التعريف بالشيخ عبد الله بن فودى  
 هو عبد الله بن فودى أخ الشيخ عثمان بن فودى ووزيره . ولد فى  
 بلد مغانم سنة 1180 هـ 1766 م ونشأ فى أسرة متمسكة بالدين مشهورة  
 بالعلم والتقوى. تعلم القرآن من والده محمد فودى ثم تلمذ على يد أخيه  
 الشيخ عثمان ولازمه منذ ان كان فى الثالثة عشر من عمره الى وفاة

الشيخ عثمان . تعلم منه العلوم الدينية والأدبية فكان أكبر مؤثر في شخصية عبد الله العلمية والفكرية ( أبوبكر عيسى البلي ( 1987 ص 33 ) وتعلم كذلك من عمه محمد بن راجي وخاله علي محمد ثنبو ، وممن أثر في شخصية عبد الله أيضا الشيخ جبريل بن عمر .

لقد أخذ عبد الله بن فودي بالنصيب الأوفر من فنون العلم من فقه تفسير وحديث ونحو وصرف وعروض، الف في جميعها تقريبا، ولم يكتفى بما أخذه من علمائه بل كان شغوبا بإطلاع كل ما وصل إليه

من كتب في مختلف الفنون (محمد بلو 1978، ص 703)

يعتبر عبد الله بن فودي أكبر وزير للشيخ عثمان ونائبه في شئون الدولة ومسترشد بتوجيهاته وهو من أشهر قواد الجهاد الفودي وأبرز ممثليه إذ كان رجلا سياسيا لا يومن بعزل الدين عن السياسة بل الدين عنده نظام كامل وشامل للحياة والسياسة جزء منه. والف في المجال كتاب كثيرة، منها: ضياء الحكام وضياء السياسة وضياء السلطان، فهو عالم بالسياسة نظريا وتطبيقيا وقصيد ته قيد البحث شهادة له.

#### مناسبة القصيدة:

هذه القصيدة تمثل مرحلة أولى من مراحل الجهاد الفودي نظمها الشيخ عبد الله لما رأى أن أكثر جماعة الشيخ عثمان متآلفون من قبيلة الهوسا فأراد بالقصيدة استنهاض قومه إلى الانتظام في سلك جماعة الشيخ ونصرة دين الاسلام .

#### دراسة مضمون القصيدة

افتتح الشاعر قصيدته باظهار فرج من جانب واظهار حزن من جانب آخر . وهو تعبير يفسر واقع بيئته يومئذ الموجب للظاهرتين ، فحينما يرى من بين المجتمع المسلمين المخلصين، يرى كذلك المشركين والمنافقين، وفي الأبيات 4 - 10 أخذ الشاعر يخاطب قومه مستثيرا شعورهم ومنهضا عاطفتهم إلى نصرة الاسلام والدعوة إليه وتعليمه للعوام والخواص لايشذ

عن ذلك عالم ولا متعلم ، وأن يكابدوا في سبيل ذلك كل الشئ  
يلاقوها من الجهال والسفهاء ، فان العة والغلبة للاسلام واهله  
لكن الكفر والا لحاد فمنهزم وفاشل .

وينبّه الشاعر قومه في الأبيات 11-15 على أن الرئسة  
والشهامة محتكران للصالحين أنصار الاسلام وسنة الرسول  
صلى الله عليه وسلم ، أما الجاحدين للاسلام والمنكرين لتعاليمه  
فهم اصحاب الذل والازدراء ويستمرّ في مخاطبة قومه على أن  
ظهور الشيخ عثمان فيهم نعمة كبرى وفضل عظيم عليهم من الله  
، وذلك في الأبيات 16-25 ويجب عليهم في مقابلها الشكر لله  
تعالى، ولاشئ أدلّ على شكرهم مثل اجابتهم دعوته وانخراطهم  
في سلك انصاره، وأن لا يكفروا تلك النعمة بالصدود والهجران ،  
فيبوءوا بالضلال والخسران ، ولا ينفعهم حينئذ قربتهم اليه .  
ويشعرهم بأن الاسلام ينتصر دائما ولا يضره جحد الجاحدين  
.فالاسلام ارض طيبة تخرج نباتها باليسر وفي غاية الصلاح ،  
والكفر ارض خبيثة التي لا تنبت وان سقيت .

وينتقل الشاعر الى محادثة الشيخ عثمان وكل قائد جهاد لو  
اصلاح في الأبيات 26-36 ويبث في قلبه أملا وتسلية بأنه نقيب  
عن الرسول صلى الله عليه وسلم في تبليغ رسالة الله الى عباده .  
ويلخص مايجب على القائد او المجاهد أن يبدأ به في سبيل  
حركته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعليم قواعد  
الاسلام الخمس ، ومراعاة شريعته في المعاملات ، والتمسك  
بالأخلاق الفاضلة والبعد عن الأخلاق السيئة ، وتربية النفوس  
على الاستقامة ومراقبة المولى القدير .

وفي الأبيات 37-الى آخر القصيدة يفصل الشاعر القول في  
الصفات التي يجب توفرها في المجاهد ، من ذلك : ان يكون  
مسلمًا مؤمنًا ، وبعيدا عن هوى النفس وغوائلها، وأن يكون  
محسنا، مراقبا لله ، ومراوضا نفسه بأنواع الرياضيات النفسية  
والجسمية ، كتقليل الطعام وحفظ اللسان والقلب ، وكف القم

والفرج عن الحرام ، والاعتصام بالقرآن الكريم وسنة الرسول ، واقتداء بالصحابه.

### نزعات الشيخ عبد الله السياسية

من خلال دراستنا هذه القصيدة وتدبير معانيها تحت الظروف التي ولدتها وساقط الشاعر الى نظمها أخرجنا النقاط التالية على أنها تمثل النزعة السياسية لقائلها، وهي نزعة ممثلة فإمامة راشدة وقائد ناصح لرعيته، كما هي نزعة سياسية اسلامية خالصة:

- الدعوة إلى دين الإسلام.
- إفهام الناس حقيقة الإسلام.
- إفهام المسلمين العبادات، مما يجب عليهم من الصلاة والصيام والزكاة والحج.
- تعليم المسلمين المعاملات والمعاملات في الإسلام.
- تزويد المسلمين بالعلوم الدينية والعربية
- الدعوة إلى التمسك بسنة الرسول وترك العوائد الجاهلية.
- ترغيب المسلمين في الدعوة إلى الله ونصرة دينه وترخيص النفوس في سبيل الدفاع عنه وما في ذلك من أجر عظيم.
- تربية النفوس على الإستقامة ومراقبة الله وترويض النفوس على الأعمال الصالحة
- حفظ الجوارح الظاهرة والباطنة عن الركون إلى الغي والضلال.
- وجود قائد مثالي، اجتمع فيه صفات القيادة الإسلامية.
- اتباع كتاب الله وسنة رسول الله
- اتباع آثار السلف الصالحين

### أسلوب الشاعر في القصيدة

إذا أمعنا النظر في أساليب الشاعر في القصيدة نرى أنها تنوعت من أساليب خبرية إلى أساليب إنشائية، وتحتل كل منهما في أجوانها معاني ملائمة، محكمة في تركيب أجزائها وتبسيط معانيها، فمن أساليب إنشائية استعماله كلمات: قم، لاتخن، وبين، ما يشعر بتلهب جذوة حماسية في الشاعر حينما يدعو قومه إلى صف جماعة الشيخ عثمان وإظهار دين الإسلام والجهاد في سبيله.

ونجد في أسلوبه الخبرى قوة وجودة في التعبير، ومما زاد في براعته فيه وجودته انطوائه معاني شرطية وجوابها في صورة مقنعة وممتعة، ومثال ذلك: ومن يشكر فذلك رابع في قوله:

وان اله العرش قد من منة \* \* علينا فمن يشكر فذلك رابع ومنه قوله :

فإن نحن أو ينه ننصر قوله \* \* نفز ونحز نعماه والكل فالج وإن قد أضعنا أفاد بغيرنا \* \* مصائب قوم عند قوم مصالح

ونلاحظ في أسلوب الشاعر أيضا صورة من الصور البيانية ما يجدر الانبياء إليها والوقوف معها، وهي كثيرة في القصيدة، منها التشبيه الضمني قوله:

ولو نفعت قربي فقط ما ردى \* \* أبوطالب عم النبي وتارح وما ضر شمسا ان نفي العمي ضوءها \* \* وما ضرحوضا أن أبته القولح ومن بين هذه الصور ما كانت مستمدة من الطبيعة الجاورة، واستمداد الشاعر منها مما يثبت ملكته ودقة حسه وقوة تجاويه مع البيئة، ومن ذلك قوله:

ولهو الشباب اليوم قد بار سوقه \* \* وقامت على سوق الصلاح مدائح وأهل الدنيا اليوم أنزوى ظل جاههم \* \* وسنتنا قد ظللتها الدوايح وكما نلمس من بين الصور البيانية في القصيدة ما كانت مستوحاة من الصور القرآنية، وذلك قوله:

أطايب أرضى تخرج النبت رائقا \*\* باذن ذويها إن أفاصت دوالح  
ولو همعت ديمًا لما أنبتت ولو \*\* بسابيس نبت في الأراضي البوالح

فهي صورة مستوجية من الآية التي شبهت حالة المؤمن بالأرض  
الطيبة الصالحة للزراع، وشبهت حالة الكافر بالأرض الصلبة  
الميتة التي لا تنبت شيئاً، قال تعالى: "والأرض الطيب يخرج  
نباتها بإذن الله والذي حبت لا يخرج إلا نكدا" (الأعراف: 58).  
هذا ولم يقتصر تأثر الشاعر بالقرآن على جانب الصور فقط بل  
يمثل ذلك ظاهرة جليلة من ظواهر ألفاظه ومفرداته، وكل ذلك  
دليل على عبقرية الشاعر في التعامل من القرآن مفرداته  
وصوره.

الخاتمة:

فالقصيدة السابقة، مع أنها تمثل لبنة أولية لإقامة دولة فودية، فقد  
استطاع الشاعر فيها أن يعكس لنا نزعاته السياسية، وهي كما  
رأينا إمامة راشدة لكل داع أو قائد أو سياسي إسلامي الاتجاه.  
وبهذا نقول أن الشاعر قد وظف فنه الشعري لبث دعوة الشيخ  
عثمان الإصلاحية وسياسته كما استعمل في سبيل ذلك علمه  
وسلاحه. وإنما جنح الشاعر إلى استعمال الفن الشعري في هذه  
الآونة لإدراكه أثره الفعال وقوة أسلحته في جذب القلوب  
واستمالة النفوس وهذا ما ننتظره من أدبائنا الإسلاميين من  
توظيف أدبهم لوعي إسلامي ونشر دعوته فالشاعر إذا عالم  
وسياسي وفني.

### المراجع

فودي عبد الله ( 1978 ) تزيين الورقات، مطبعة المشهد الحسيني  
القاهرة.

- عثمان محمد بلو (1978م) إنفاق الميسور في تاريخ بلاد  
التكرور، دار الكتب القاهرة.

غنيمي، هلال (م1977) في النقد الأدبي دار المعارف القاهرة.  
عبد الله يعقوب (م1989) شعر الجهاد في الأدب النيجيري، بحث  
مقدم لقسم اللغة العربية جامعة يايروا كانوا لنيل درجة  
الليسانس.  
أبوبكر علي (1972) الثقافة العربية في نيجيريا من 1750 إلى  
م1960 عام الاستقلال. مؤسسة عبد الحفيظ بيروت  
أ لبي أبوبكر عيسى شعر الجهاد لدى عبد الله بن فودي، دراسة  
ونقد بحث مقدم لقسم اللغة العربية جامعة باير لنيل درجة  
الماجستير 1987م